وَرَغَمْتُ أَنْفَ الحاسِدِينَ بِسَطْوَتي
فَغَدَوْا لَها مِن رَاكِعِينَ وَسُجّدِ

سأحلم عن قومي

خرج إلى اليمن مع نفر من قومه، وعند رجوعه تذكر أهله، وكان قد زاد شوقه إلى عبلة فقال:

[الطويل]

إذا الرّيحُ هبّتْ من رُبى العَلَم السّعدي
طَفا بَرْدُها حَرّ الصّبابةِ وَالوَجدِ(١)
وَذكّرَني قَوْماً حفِظْتُ عُهودَهم
فَما عرَفوا قدرِي وَلا حفظوا عهدي(٢)
وَلَوْلا فَتَاةٌ في الخِيام مُقيمَةٌ
لما اخترْتُ قرْبَ الدّارِ يوْماً على البُعدِ(٣)
مُهَفْهفَةٌ وَالسِّحْرُ مِنْ لَحظاتِها
إذا كلّمَتْ مَيْتاً يَقومُ من اللَّحدِ(٤)

(١)، (٢) العلم السعدي: اسم جبل. الربى، واحدها ربوة: هو ما ارتفع من الأرض. طفا: أطفأ مخفف الهمز، وذلك لم يرد، ممّا يجعل القصيدة منحولة على عنترة. للريح لغة عند الأحبّة؛ فهي تذكرهم بأحبتهم؛ إنها ريح رقيقة نفثت من جانب تلك الربى التي تحتضن مضارب بني عبس، فإذا بها تُطفئ لهيب حبّ في الجوارح والقلوب فترتدّ منعشة، وتبعث في النفس حيوية الإخلاص لمن لم يحفظ تلك العهود، ولم يقدّروا عنترة حقّ قدره.

(٣)، (٤) إنها فتاة في مقتبل العمر، تتّخذ من الخيام مقاماً، فلولاها لا فرق =

أشارَتْ إلَيْها الشّمسُ عندَ غرُوبِها
تقولُ: إذا اسوَدّ الدُّجى فاطلعي بعدي[١]
وَقالَ لها البَدْرُ المُنيرُ: ألا اسْفِرِي
فإنّكِ مثلي في الكمالِ وَفي السَّعدِ[٢]
فَوَلّتْ حَيَاءً ثمّ أرْخَتْ لِثامَها
وَقَدْ نَشرَتْ من خدّها رَطِبَ الوَرْدِ[٣]
وَسَلّتْ حُساماً من سَوَاجي جُفُونها
كَسيْفِ أبيها القاطع المُرْهفِ الحَدّ[٤]
تُقاتلُ عَيْناها بهِ، وَهْوَ مُغْمَدٌ
وَمن عجبٍ أن يقطعَ السيفُ في الغِمدِ[٥]

= عندي بين القرب من الربوع أو البعد عنها؛ إنها ضامرة البطن دقيقة الخصر، في نظراتها سحر مشعّ يتفتّق رِقّة وغُنجاً، حتى إن الموتى إذا سمعوا صوتها المِغناج لدبّت فيهم الروح وبُعثوا من قبورهم أحياء.

(١)، (٢) لقاء بين عوامل الإشراق في الطبيعة؛ فالشمس تؤذن بالمغيب ولكنها تبحث عن بديل لها، إذا بها تجده في تلك الفتاة فترجوها أن تحلّ محلّها ليبقى الإشراق والضياء والأُنس. وحتى القمر المؤنس في وحشة الليل يتخلّى عن عمله فيطلب منها أن تكشف لثامها عن وجهها، فهي صنوه في الجمال والأنس والسعد.

(٣)، (٤) كان جزاء ذلك أن تلك الفتاة استحيت، فإذا بها تُرخي لثامها، فبدت حمرة الخدين علامة الحياء الصادق؛ وإذا بجفنيها تكشفان عن حسامين هادئين ساكنين رمز الوداعة وكأنهما سيف والدها البتّار المرهف الحدّ.

(٥) إنها تقاتل بسلاح لا يجرح؛ بعينين جميلتين، فهما سيف لم يجرّد بل هو في غمده، وهذا ما يُطمئن.

مُـرَنَّـحَـةُ الأعـطـافِ مَـهْـضُـومـةُ الـحـشـا
مُـنَـعَّـمَـةُ الأطـرَافِ مـائِـسَـةُ الـقَـدّ[١]
يَـبـيـتُ فُـتـاتُ الـمِـسْـكِ تـحـتَ لِـثـامِـهـا
فَـيَـزْدادُ مـن أنْـفـاسِـهـا أرَجُ الـنَّـدّ[٢]
وَيَـطْـلـعُ ضَـوْءُ الـصّـبْـحِ تـحـتَ جَـبـيـنـهـا
فَـيَـغـشـاهُ لـيـلٌ مـن دُجـى شـعـرِهـا الـجـعـدِ[٣]
وَبَـيـنَ ثَـنـايـاهـا، إذا مـا تَـبَـسّـمَـتْ،
مُـديـرُ مُـدام يَـمْـزُجُ الـرّاحَ بـالـشَّـهـدِ[٤]
شَـكـا نَـحْـرُهـا مـن عِـقْـدِهـا مُـتَـظَـلّـمـاً
فَـوَاحَـرَبـا مـن ذلـك الـنَّـحْـرِ وَالـعِـقْـدِ[٥]
فَـهَـلْ تَـسْـمَـحُ الأيّـامُ، يـا ابْـنَـةَ مـالـكٍ
بـوَصْـلٍ يُـداوِي الـقـلـبَ مـن ألـمِ الـصَّـدّ[٦]؟

(١) مرنّحة الأعطاف: إنها تميس في مشيتها. مهضومة الحشا: رقيقة البطن لطيف كشحها. القدّ: القامة. يصف الشاعر محبوبته؛ فهي متناسقة الجسم، رشيقة الحركة تميس في مشيتها، مصقولة الأطراف، كأنها نُحتت بإزميل فنان قدير.
(٢) الأرج: الرائحة العطرة. إنها مترفة تستعين بفُتات المسك فإذا بأنفاسها تضوّع ريحاً عطراً دافقاً، فيزداد الجوّ سحراً.
(٣) إشراقة وجهها شمس منيرة ينسدل على وجهها شعر أسود تخالطه بعض التجعيدات.
(٤) الراح: الخمرة. الشهد: العسل. يزيّن فمها لؤلؤ وعاج يبثّ خمرة مسكرة يُخالطها عسل لذيذ الطعم يبعث على القُبَل.
(٥) تميّز رقبتها زينة عقدها، فكلاهما متظلّم من الآخر لأنهما يتنازعان الجمال، والشاعر في حيرة من أمره فلا يستطيع الحكم لأحدهما على الآخر.
(٦) يخاطب الشاعر ابنة مالك مستفهماً مستعلماً هل سيكون لقاء بينهما وقد طال الهجر والصدّ من قِبلها؟

سأحْلُمُ عن قوْمي وَلَوْ سفَكوا دمي
وَأجرَعُ فيكِ الصّبرَ دونَ الملا وَحدي[١]
وَحَقِّكِ أشجاني التّباعُدُ بعدكم
فَهَلْ أنْتمُ أشجاكمُ البُعد من بعدي[٢]؟
حَذِرْتُ منَ البَينِ المُفَرِّقِ بَيْنَنا
وَقد كان ظنّي لا أفارِقُكم جَهْدي[٣]
فإنْ عايَنَتْ عَيْني المَطايا وَرَكْبها
فَرَشْتُ لَدى أخفافها صَفحةَ الخدّ[٤]

لعوب بألباب الرجال

سأله بعض أصحابه يوماً أن يصف عبلة، فقال:

[الطويل]

لَعُوبٌ بألْبابِ الرّجالِ كأنّها
إذا أسْفَرَتْ بدرٌ بدا في المَحاشِدِ[٥]

(١) الملاء مخفف الهمز: الناس. يخبر الشاعر حبيبته ما سوف يفعله سيكون حليماً ويغفر لبني عبس سيّئ أفعالهم، حتى لو عملوا على قتله، وسوف يصبر ويتعذّب بحبّه دون العالمين منفرداً علّها ترضى وترقّ لحاله.
(٢) أشجى: أحزن. يقسم الشاعر بأنه حزين للقطيعة التي فرّقت بينهما، وهو يسألها فهل حدث لها مثلما حدث له؟
(٣)، (٤) البين: الفراق. خوف الشاعر من الفراق والهجر، وقد كان عازماً ألّا يكون بعد بينهما. وللأسف هذا ما حصل فعلاً. ولئن رأت عيناه الركب يرتحلون فإنه لم يرغب في ذلك ولم يفكر بالرحيل ولا امتنع وجعلها تدوس صفحة خدّه على أن يفعل ذلك.
(٥) المحاشد، واحدها محشد: المحافل، يصف الشاعر عبلة. إنها قادرة على =